لو كان هذا سوء ادب الى اخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لاعماله وهذا
هو الموجب له عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا
اليه لازداد عند ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا اليه وخوفا من
مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدي ابو العباس كل سوء ادب
يثمر لك ادبا فهو ادب وهو الذي اوجب له ايضا التخلية بينه وبين ما يريد
الذي اقتضاه اقامته مقام العبد اذ لو كان مقاما في القرب لبعد عن روية نفسه
وكان سنها لها في ارادتها وكان وافقا مع مراد الله به فان اقدم على امر بارادته
وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما يريده وسد عليه مسالكها
ولم يخله وما اراد من ذلك وقد قال بعضهم من علامة التوفيق ثلاثة دخول اعمال البر عليك من غير
قصد منك اليها وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله
تعالى في كل الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف وكذلك قال ابو حفص رضي الله
عنه التصوف كله اداب لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب
فمن لزم اداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الاداب فهو بعيد من حيث
يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي
رويم يا بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء
احد الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا الا عوقب باطنا
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ابن
المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم
يا سيء الادب فقال لست بسيء الادب فقيل له ومن ادبك قال الصوفية والاداب
اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن واداب الباطن
هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ادبني ربي فاحسن تاديبي ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى الا بيده بالرياضة والمجاهدة
قال ابن عطا رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة
الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء
المطالبة فمن اطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة
والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص ذكي الفطرة كريم الشجية سهل المقادة
لا يحتاج في ذلك الى كبير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا

فلا جرم

فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لكي دارك ظلمته ونقصان
غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتادب
بادابهم واتباع اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم يجر امتثاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال
عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد قال
سبيل الدقاق رضي الله عنه بما ذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتادب بامام فمن لم
يتادب بامام بقي بطالا فاذا ادام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت
اخلاقه وظهر على ظاهره انوار ذلك فيكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام
الاداب حتى تنتهي به الى المحافظة على تجنب امور غير محظورة مستنكرة في ظاهر
العلم ويكون تركها محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه ويتعاقب
من اجله قال السري رضي الله عنه صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي
في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك
لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد فبقي ستين سنة ما مد رجليه ليلا ولا نهارا وقال
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه لا يستند الى شي
فكان يوما في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته غير مستند
فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة
فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شي ابدا وقال
ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة
اصلي عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت فقيرا عليه
اثر النسك يسال الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان
اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شي من الورد بالليل من البكا والصلاة
وغيره فثقل علي جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيني فرايت ذلك
الفقير جاوا به على خوان ممدود وقالوا لي كل من لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن
الحال فقلت ما اغتبته انما قلت في نفسي شيا فقيل لي ما انت ممن يرضى منك
بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رايته في موضع يلتقط
من الماء ترداد الماء اوراقا من البقل مما يتساقط من غسيل البقل فسلمت فقال
تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من ادابهم رضي الله عنهم
والظاهر ان مراد المولف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من الدعوى والاظهار
الدعوى واتصاف العبد بصفة الولي والتسلط والادلال في موقف الهيبة والجلال
وما اشبه هذا مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمقت به ولكن ينبغي للمريد

Copyright © King Saud University